المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

دلالة القسم على تعظيم الله في ضوء الهدايات القرآنية
(دراسة وصفية تحليلية في آيتي سورة البقرة (٢٢٤ - ٢٢٥)
وآية سورة المائدة (٨٩))

اسم الباحث

أ / نهى عبدالمنعم إبراهيم إسماعيل

نهى عبد المنعم إبراهيم إسماعيل

دلالة القسم على تعظيم الله في ضوء الهدايات القرآنية

دراسة وصفية تحليلية في آيتي سورة البقرة (٢٢٤-٢٢٥)، وآية سورة المائدة (٨٩)

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...

وبعد فإنّ من أعظم الواجبات علىٰ المسلم معرفة قدر الخالق سبحانه الذي تقرُّ بوحدانيته الكائنات، وكل مخلوق في نفسه فيه آيات بينات علىٰ عظمة خالقه، وعظيم صنعه وإبداعه. إنّ من تعظيم الله تعالىٰ معرفة صفاته وأسمائه وتأمل وتدبر آياته، ومعرفة شرائعه وأوامره ونواهيه وتعظيمها بامتثالها والعمل بها.

فتعظيم الأمر والنهي من تعظيم الآمر وهو الله عزّ وجلّ، والمعظم لله يكون متفاعلًا مع مجتمعه بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فتعظيم الله عبادة أصلها توحيد الله ولهذا التعظيم مظاهر تدل عليه مثل العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج.. الخ.

إنّ من مظاهر تعظيم الله (حفظ اليمين) الذي هو موضوع دراستي في هذه الورقة البحثية التي جاءت بعنوان (دلالة القسم علىٰ تعظيم الله في ضوء الهدايات القرآنية) دراسة وصفية تحليلية في آية سورة البقرة آية (٢٢٤) وآية سورة المائدة آية (٨٩).

وقد قسمت الباحثة الورقة البحثية إلىٰ أربعة مباحث جاءت علىٰ النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم القسم ومفهوم تعظيم الله.

المبحث الثاني: مفهوم الهدايات القرآنية.

المبحث الثالث: دلالة القسم علىٰ تعظيم الله في ضوء الهدايات القرآنية في سورة البقرة الآية (٢٢٤- ٢٢٥) والمائدة الآية (٨٩).

المبحث الرابع: الهدايات القرآنية في سورة البقرة الآية (٢٢٤- ٢٢٥) وسورة المائدة الآية (٨٩).

المبحث الأول: مفهوم القسم ومفهوم تعظيم الله

مفهوم القسم ومترادفاته (اليمين والعقد والحلف):

الْقسم أبلغ من الْحلف؛ لِأَنَّ معنىٰ: أقسم بِالله: أَنه صَار ذَا قسم بِالله، وَالْقسم: النَّصِيب، وَالْمرَاد: أَن الَّذِي أقسم عَلَيْهِ من المَال وَغَيره قد أحرزه، وَدفع عَنهُ الْخصم بِالله.

وَالْيَمِين اسم للقسم مستعار، وَذَلِكَ أَنّهم كَانُوا إِذا تقاسموا علىٰ شَيْء: تصافقوا بأيمانهم، ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّىٰ سُمِّي الْقسم يَمِينًا.

والعقد هُوَ تَعْلِيق الْقسم بالمقسم عَلَيْهِ، مثل قَوْلك: وَالله لأدخلنَّ الدَّار. فتعقد الْيَمين بِدُخُول الدَّار، وَهُوَ خلاف اللَّغْو من الْأَيْمَان. واللَّغو من الأيمان: مَا لم يعْقد بشيء، كَقَوْلِك فِي عرض كلامك: هَذَا حسنٌ وَالله، وَهَذَا قَبِيح وَالله[1].

وأما الحلف: فهو العهد بين القوم، والمحالفة: المعاهدة والملازمة، ومنه: فلانٌ حلفٌ كريمٌ وحليفُ كرمٍ. وتحالفا: تعاهدا علىٰ أن يكون أمرهما واحدًا في النُّصرة والحماية[2].

الحَلِفُ: أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثمّ عبّر به عن كلِّ يمين[3].

تعريف القَسَم وصيغته:

الأقسام: جمع قَسَم -بفتح السِّين- بمعنىٰ الحلف واليمين، والصِّيغة الأصلية للقسم: أن يؤتىٰ بالفعل (أقسم، أو: أحلف) متعدِّيًا بالباء إلىٰ المُقسم به، ثمّ يأتي المُقسم عليه، وهو المُسمَّىٰ بجواب القسم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨].

فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

١- الفعل الذي يتعدىٰ بالباء.

٢- والمُقسم به.

٣- والمُقسم عليه.

---

(١) الفروق اللغوية (٥٦-٥٧).

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (١٤٦).

(٣) المفردات في غريب القرآن (٢٥٢).

ولمَّا كان القسم يكثر في الكلام؛ اختصر فصار فعل القسم يحذف، ويكتفىٰ بالباء، ثم عُوِّض عن الباء بالواو في الأسماء الظَّاهرة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١﴾ [الليل]، وبالتاء في لفظ الجلالة: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾ [الأنبياء]، وهذا قليل، أمَّا الواو فكثيرة.

والقسم واليمين واحد: ويعرف بأنَّه: ربط النَّفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنىٰ معظَّم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا. وسُمِّي الحلف يمينًا؛ لأنَّ العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف[1].

فالقسم هو: أن يريد المتكلِّم الحلفَ علىٰ شيءٍ، فيحلف بما يكون فيه فخرٌ له، أو تعظيمٌ لشأنه، أو تنويهٌ لقدره أو، ذمٌّ لغيره، أو جاريًا مجرىٰ الغزل والتّرقق، أو خارجًا مخرج الموعظة والزُّهد.

وأقسم سبحانه وتعالىٰ بقسم يوجب الفخر لتضمنه التَّمدح بأعظم قدرة، وأجلّ عظمة ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾ [الحِجر: ٧٢]، أقسم -سبحانه وتعالىٰ- بحياة نبيِّه ﷺ تعظيما لشأنه وتنويها بقدره[2].

في القسم؛ فإن الحالف قد يحلف علىٰ الشّيء، ثم يكرر القسم فلا يعيد المقسم عليه؛ لأنَّه قد عُرف ما يحلف عليه، فيقول: والله، إنَّ لي عليه ألفَ درهم، ثمّ يقول: وربِّ السَّموات والأرض، والذي نفسي بيده، وحقِّ القرآن العظيم. ولا يعيد المقسم عليه؛ لأنَّه قد عُرف المراد، والقسم لمَّا كان يكثر في الكلام؛ اختُصِر فصار فعل القسم يُحذف، ويكتفىٰ بالباء، ثمّ عُوِّض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة، والتاء في أسماء الله، قال تعالىٰ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾ [الأنبياء].

أمَّا الله -سبحانه-؛ فيقسم بأمور علىٰ أمور، فيقسم بنفسه الموصوفة بصفاته، وآياته المستلزمة لذاته وصفاته. وإقسامه ببعض المخلوقات دليلٌ علىٰ أنَّه من عظيم آياته، فالقسم إمَّا علىٰ جملة خبرية، وهو الغالب كقوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذاريات]، وهناك الأمور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض،

(١) مباحث في علوم القرآن (٣٠٠-٣٠١).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٢٠).

فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الرَّبُّ فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسمًا به، ولا ينعكس. وهو -سبحانه- يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب، وتارة يحذفه[١].

مفهوم تعظيم الله:

(عَظَمَ) الْعَيْنُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ كِبَرٍ وَقُوَّةٍ. فَالْعِظَمُ: مَصْدَرُ الشَّيْءِ الْعَظِيمِ. تَقُولُ: عَظُمَ يَعْظُمُ عِظَمًا، وَعَظَّمْتُهُ أَنَا. فَإِذَا عَظُمَ فِي عَيْنَيْكَ قُلْتَ: أَعْظَمْتُهُ وَاسْتَعْظَمْتُهُ. وَمُعْظَمُ الشَّيْءِ: أَكْثَرُهُ[٢].

الْعَظِيم: هُوَ عِنْد المشبهة من أَسمَاء الذَّات وَعند أهل التَّوْحِيد من أَسمَاء الصِّفَات، فالعظيم: نقيض الحقير، كَمَا أَن الْكَبِير نقيض الصَّغِير. والعظيم فَوق الْكَبِير؛ لِأَنَّ الْعَظِيم لَا يكون حَقِيرًا لِكَوْنِهِمَا ضِدّان، وَالْكَبِير قد يكون حَقِيرًا، كَمَا أَن الصَّغِير قد يكون عَظِيمًا. وَقد يُطلق الْعَظِيم علىٰ الْمُسْتَعظم عقلًا فِي الْخَيْر وَالشَّرِّ، مثل: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

الْعَظَمَة كالغلبة والجبروت: الْكبر والنَّخوة والزَّهو. وعظمة الله لَا تُوصَف بِهَذَا، بل هُوَ وُجُوبه الذَّاتي الَّذِي هُوَ عبارَة عَن الِاسْتِقْلَال والاستغناء عَن الْغَيْر. وَأَمَّا كبرياؤه؛ فَهُوَ ألوهيته الَّتِي هِيَ عبارَة عَن استغنائه عَمَّا سواهُ، واحتياج مَا سواهُ إِلَيْهِ، وَمَتىٰ وُصِف عبدٌ بالعظمة فَهُوَ ذمٌّ لَهُ[٣]. فالتعظيم: هو معرفة عظمة الرَّبِّ، وتعظيمه وإجلاله مع التَّذلُّل له، وعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرَّبِّ تعالىٰ في القلب، وأعرف النَّاس به أشدُّهم تعظيمًا له وإجلالًا، ومحبةً وطاعةً وعبادةً[٤].

كيف نعظم الله سبحانه وتعالى؟:

بأن نعلم أنَّ الله -تبارك وتعالىٰ- هو العظيم وحده، وهو الموصوف بكلّ صفة كمال، ولا يستحقّ ذلك إلَّا هو وحده. فنعظِّمه -سبحانه- بأن نعلم أنَّ السَّموات السَّبع والأرضين السَّبع في يد الرَّحمن أصغر من الخردلة، وهو -سبحانه- العظيم الذي يستحق من عباده أن يعظِّموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وذلك لا يكون إلَّا بمعرفة أسمائه وصفاته.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (١-٣).
(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥، باب العين والظّاء وما يثلثهما).
(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (٦٣١ – ٦٣٢).
(٤) موسوعة فقه القلوب (٢/ ١٨٠٧-١٨١٠).

ونعظِّمه -سبحانه- بأن نتقيه حقّ تُقَاته، فنطيعه ولا نعصيه، ونشكره ولا نكفر به.

ونعظِّمه -سبحانه- بتعظيم كلّ ما شرعه من زمان ومكان وأقوال وأعمال، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

ونعظِّمه -سبحانه- بألا يُعترض علىٰ شيء ممَّا خلقه وشرعه، ولا علىٰ شيء ممَّا قضاه وقدَّره، ولا علىٰ شيءٍ ممَّا أحلَّه وحرَّمه. ونعظِّمه سبحانه بتوقير رسله، والعمل بما جاءوا به. ونعظِّمه -سبحانه- بتعظيم حرماته، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].

ونعظِّم الله بالمعرفة، أي: بمعرفة عظمته وجلاله، وجبروته وكبريائه، وآلائه وإحسانه، قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر].

و نعظِّمه -سبحانه- بعبادته وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢][(١)].

التعظيم على ثلاث درجات:

الأولىٰ: تعظيم الأمر والنهي

وذلك بأن لا يعارض بترخص يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال، ولا بغلو يجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي، ولا يحمل علىٰ علة توهن الانقياد كما تأول بعضهم تحريم الخمر بأنه معلل بإيقاع العداوة والبغضاء، فإذا أُمن من هذا المحذور جاز شربه ونحو ذلك.

الثانية: تعظيم الحكم الكوني القدري

فالأولىٰ تتضمن تعظيم الحكم الديني الشرعي، وهذه تتضمن تعظيم الحكم الكوني القدري.

فكما يجب علىٰ العبد أن يراعي حكم الله الديني بالتعظيم، فكذلك يراعىٰ حكم الله الكوني بالتعظيم. وذلك بأن لا يرىٰ فيه عوجًا، ولا يطلب له عوجًا، بل يراه كله مستقيمًا؛ لأنه صادر عن عين الحكمة، فلا عوج فيه. فكل ما يجري في الكون من الحركات والسكنات، والطاعات والمعاصي، والخير والشر، كله بقضاء الله وقدره.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٦-٤٧).

وقضاء الله وقدره وحكمه الكوني لا يناقض دينه وشرعه وحكمه الديني بحيث تقع المدافعة بينهما؛ لأن هذه مشيئته الكونية، وهذه إرادته الدينية، ومن تعظيمهما الانقياد لهما، فهما وصفان للرب سبحانه.

الثالثة: تعظيم الرَّبِّ سبحانه

فالدَّرجة الأولىٰ تتضمن تعظيم أمره، والثانية تتضمن تعظيم قضائه لا مقضيه. وهذه الدَّرجة هي تعظيم الله الحقّ الذي له الخلق والأمر، وتعظيم الحقِّ -سبحانه- بأن لا تجعل دونه سببًا، فهو الذي يوصل عبده إليه، فلا يوصل إلىٰ الله إلا الله، ولا يقرب إليه سواه، ولا يدني إليه غيره، ولا يتوصل إلىٰ رضاه إلا به، ولا هدىٰ إليه سواه.

وكذلك لا ترىٰ لأحد من الخلق حقًّا علىٰ الله، بل الحقُّ لله علىٰ خلقه، فهو الذي خلقهم ورزقهم وهداهم وأبقاهم. وأما حقوق العباد علىٰ الله تعالىٰ من إثابته لمطيعهم، وتوبته علىٰ تائبهم، وإجابته لسائلهم، فتلك حقوق أحقها الله سبحانه علىٰ نفسه بحكم وعده وإحسانه، لا أنها حقوق أحقوها هم عليه. فالحقُّ في الحقيقة لله علىٰ عبده، وحق العبد عليه هو ما اقتضاه جوده وبره وإحسانه إليه بمحض جوده وكرمه سبحانه. إنّ تعظيم الآمر، وتعظيم أمره ونهيه، وتعظيم حرماته، وتعظيم قضائه وقدره، هو الواجب علىٰ كل مسلم، فيعظِّم ربَّه تعظيمًا لذاته، وخوفًا من عقابه، وطلبًا لثوابه[1].

أسباب وقوع المخالفات المنافية للتعظيم

نذكر منها: الجهل بدين الله تعالىٰ، وقلّة العلم الشرعي، وضعف التّفقه في هذا الأصل الكبير، ومنها: غلبة نزعة الإرجاء في هذا الزمان، فمرجئة هذا الزَّمان الذين يقررون أن الإيمان تصديق فقط، ويهملون العبادات القلبية، كانوا سببًا رئيسًا في ظهور وجود هذه المخالفات فيمكن أن يكون الرجل عندهم مؤمنًا ما دام مصدقًا، وإن استخف بالله تعالىٰ، أو استهزأ برسوله أو دينه!

ومن أسباب هذه الظاهرة: وجود علم الكلام قديمًا، الذي لا يزال أثره باقيًا إلىٰ هذا العصر، فأهل الكلام يخوضون في الله تعالىٰ وصفاته، مما أورثهم سوء أدب مع الله.

وأيضًا من أسباب ذلك: كثرة الترخص والمداهنات والتنازلات من علماء السوء الذين أُشربوا حب الدنيا والرياسة، فجعلوا الدين ألعوبة يأخذون منه ويدعون.

---

(١) موسوعة فقه القلوب (٢/ ١٨٠٧-١٨١٠).

المبحث الثاني: مفهوم الهدايات القرآنية

الهدايات القرآنية هي: الدَّلالة المبيِّنة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكلّ خير، وتمنع من كلّ شرٍّ.

شرح مفردات التعريف:

الدَّلالة: ما يتوصَّل به إلىٰ معرفة الشَّيء، كدلالة الألفاظ علىٰ المعنىٰ، فهي تبيِّن الوسائل والطرق والكيفيات.

والمبيِّنة: من البيان الذي هو: ما بُيّنَ به الشيءُ من الدلالة وغيرها، وبانَ الشيءُ بيانًا: اتضح؛ لأنَّ الهدف من الدّلالة إظهار وإيضاح الهداية للعمل، ولتمييزها عن طرق الضَّلال؛ وهذا هو المتفق مع مهمة الرسل وأتباعهم، التي هي بيان هدايات القرآن الكريم للناس، وهو الذي يكون في مقدورهم، وما يجب عليهم، وبعد التّبين تكون المؤاخذة لمن تخلَّف عن الهدىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾ [محمد: ٢٥]، خلافًا لهداية التَّوفيق والسَّداد، وجعل الهدىٰ في القلب، وهذه من الله تعالىٰ وحده، علمًا بأنّ السبيل إلىٰ الثانية يكون بمعرفة كالأولىٰ، ولا فائدة للهداية الأولىٰ بدون الثانية، والدّال علىٰ الهداية يقصد تحقق كلا الأمرين للمهدي، وهداية الإلهام فطرية ليس للعبد تدخل فيها.

الإرشادات: وهي الغاية التي يتوصل إليها بهذا العلم؛ ولأن الهدايات القرآنية هي مجرد الإرشاد إلىٰ الخير، سواء حصل إتباع الخير أم لم يحصل فهي هداية.

القرآن الكريم: يشمل ما دلّ عليه بمنطوقه ومفهومه من خلال آياته، وموضوعاته، وسوره، ومن هنا كانت الهدايات بعضها دلّ عليه ظاهر النص، وبعضها استنبطها العلماء بعد تدبر وإعمال فكر فيه[1].

---

(١) الهدايات القرآنية-دراسة تأصيلية (١/ ٤٤-٤٦).

المبحث الثالث: دلالة القسم على تعظيم الله في ضوء الهدايات القرآنية في سورة البقرة الآية (٢٢٤- ٢٢٥)، والمائدة الآية (٨٩)

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة].

معاني مفردات الآيتين:

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي: الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ علَّةً مانعةً ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: نصبا لها، بأن تُكثِروا الحلفَ به ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ فتُكْره اليمينُ علىٰ ذلك، ويُسَنُّ فيه الحنث، ويكفِّر بخلافها علىٰ فعل البِرِّ ونحوه، فهي طاعة، ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنىٰ: لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البِرّ ونحوه إذا حلفتم عليه، بل ائتوه وكفِّروا؛ لأنَّ سبب نزولها الامتناع من ذلك، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ بأحوالكم. ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللِّسان من غير قصد الحلف، نحو: والله، وبلىٰ والله، فلا إثم عليه ولا كفَّارة، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصدته من الأيمان إذا حنثتم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمَّا كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها[1].

سبب نزول الآية فيها أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في عبد الله بن رواحة، كان بينه وبين ختنه شيء، فحلف عبد الله ألا يدخل عليه ولا يكلمه، وجعل يقول: قد حلفت بالله، ولا يحل لي، إلا أن تبرّ يميني، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أن الرجل كان يحلف بالله ألا يصل رحمه، ولا يصلح بين الناس، فنزلت هذه الآية.

والثالث: أنها نزلت في أبي بكر حين حلف: لا ينفق علىٰ مسطح.

والرَّابع: نزلت في أبي بكر، حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتىٰ يُسلم[2].

---

(١) تفسير الجلالين (٤٨).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٩٤).

تفسير الآيتين:

معنىٰ قوله: ﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ يريد به كثرة الحلف، وهو نوع من الجرأة علىٰ الله تعالىٰ، والابتذال لاسمه في كل حق وباطل، ومن أكثر من ذكر شيء، فقد جعله عرضة، كقول القائل: (قد جعلتني عرضة للومك). وذمَّ الله -تعالىٰ- مكثر الحلف بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [القلم: ١٠]و، والمعنىٰ: لا تعرضوا اسم الله تعالىٰ، ولا تبتذلوه في كل شيء، لأن تبروا إذا حلفتم، وتتقوا المأثم فيها، إذا قلت أيمانكم، لأن كثرتها تبعد عن البر والتقوىٰ، وتقرب من المأثم والجرأة علىٰ الله تعالىٰ، وكأن المعنىٰ: إن الله ينهاكم عن كثرة الأيمان والجرأة عليها، لما في توقي ذلك من البر والتقوىٰ والإصلاح، فكونوا بررة أتقياء.

وفي معنىٰ الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناها: لا تحلفوا بالله أن لا تبرّوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس.

والثاني: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتقوا المخلوقين وتبرّوهم، وتصلحوا بينهم بالكذب.

والثالث: أن معناها: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارّين مصلحين، فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه.

معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ اللَّغو في كلام العرب: ما اطُّرح، ولم يُعقد عليه أمر، ويُسمَّىٰ ما لا يعتد به، لغوًا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: ما عقدت عليه قلوبكم.

(والحليم): ذو الصفح الذي لا يستفزُّه غضب فيعجل، ولا يستخفه جهلُ جاهل مع قدرته علىٰ العقوبة.

والقسم واليمين واحد: ويعرف بأنه: ربط النفس، بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنىٰ معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا. وسُمي الحلف يمينًا؛ لأنَّ العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التَّحالف.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ

يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة].

معاني مفردات الآية:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ بكفارة أَيمَانكُم بِاللَّغْوِ ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ بضمير قُلُوبكُمْ بالأيمان ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ كَفَّارَة الْيَمين الَّتِي لَيست بِلَغْوٍ ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ﴾ من أعدل ﴿مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ من الْخبز والأدم تغدونهم وتعشونهم ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ أَو كسْوَة عشرَة مَسَاكِين بِقدر مَا يواري بِهِ عورتهم ملحفة أَو قَمِيصًا أَو إزارًا ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ كَيْفَمَا يكون ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ من هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة شَيْئا ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ تتابعًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي ذكرت ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ ثمَّ حنثتم ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ لفظ أَيْمَانكُم وَكَفَّارَة أَيْمَانكُم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هَكَذَا ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أمره وَنَهْيه كَمَا بيَّن كَفَّارَة الْيَمين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ لكَي تشكروا بَيَانه فِي الْأَمر وَالنَّهْي [1].

سبب نزول الآية:

جلس رسول الله ﷺ يومًا فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم علىٰ التخويف، فَرَقَّ الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من الصَّحابة في بيت عثمان بن مظعون، منهم: أبو بكر وعليٌّ وابن مسعود وأبو ذرٍّ الغِفاريُّ وسلمانُ الفارسيُّ، واتفقوا علىٰ أن يصوموا النَّهار، ويقوموا اللَّيل، ولا يناموا علىٰ الفُرُش، ولا يأكلوا اللحم ولا الودك، ولا يقربوا النِّساء والطيب، ويلبسوا المسوح، ويرفضوا الدُّنيا، ويسيحوا في الأرض، ويترهبوا ويجبوا المذاكير، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «**ألم أنبأ أنكم اتفقتم علىٰ كذا وكذا؟**»، قالوا: يا رسول الله، وما أردنا إلَّا الخير. فقال: إنِّي لم أؤمر بذلك، إنَّ لأنفسكم عليكم حقًّا، فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا، فإنِّي أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللَّحم والدّسم. من رغب عن سُنَّتي فليس مني». ثم جمع الناس وخطبهم، فقال: «**ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا! أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحُجُّوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان، فإنما**

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٠٠).

هلك من قبلكم بالتشديد شددوا علىٰ أنفسهم فشدّد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الدّيارات والصوامع»، فأنزل الله هذه الآية، فقالوا: يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها -وكانوا حلفوا علىٰ ما اتَّفقوا عليه- فنزلت هذه الآية[١].

تفسير الآية:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ اللَّغو في اليمين: السَّاقط الذي لا يتعلَّق به حكم، واختلف فيه، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أنَّها سُئلت عنه، فقالت: هو قول الرجل: لا والله، بلىٰ والله. وقيل: هو الرَّجل يحلف علىٰ الشيء يرىٰ أنَّه كذلك وليس كما ظنّ. ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية[٢]. وقوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ أي: بما صممتم عليه من الأيمان وقصدتموها، فكفارته إطعام عشرة مساكين يعني: محاويج من الفقراء، ومن لا يجد ما يكفيه.

وقوله: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ قال ابن عباس وغيره: أي: من أعدل ما تطعمون أهليكم، فعن ابن عبَّاس قال: كان الرَّجل يقوت بعض أهله قوتَ دونٍ، وبعضهم قوتًا فيه سعة، فقال الله تعالىٰ: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ أي: من الخبز والزَّيت. وقيل: الخبز واللّحم، والخبز والسمن، والخبز واللبن، والخبز والزيت، والخبز والخل[٣].

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٧).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٦٧٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/ ١٧٣).

المبحث الرابع: الهدايات القرآنية في سورة البقرة الآية (٢٢٤- ٢٢٥) وسورة المائدة الآية (٨٩).

١- دلت الآيات علىٰ النهي عن كثرة الحلف فالمراد النهي عن الجراءة علىٰ الله بكثرة الحلف به، لأن من أكثر من ذكر شيء فقد جعله عُرْضة له.

٢- ﴿عُرْضَةً﴾: بضم العين أي مانعًا، وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو ﴿عُرْضَةً﴾ ولهذا يقال للسحاب: عارضٌ، لأنه يمنع رؤية السماء والشمس، واعترض فلانٌ فلانًا أي منعه من فعل ما يريد.

٣- لا تجعلوا الحلف بالله سببًا مانعًا لكم من البر والتقوىٰ، إذا دعي أحدكم لبرٍ أو إصلاح يقول: قد حلفت ألا أفعله فيتعلّل باليمين.

٤- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ﴾ فاللغو في الكلام ما لا يُعتد به، وهو الذي يُورد لا عن روية وفكر.

٥- وقيل اللغو الساقط الذي لا يعتد به، سواء كان كلامًا أو غيره[1].

٦- ينبغي عدم الإكثار من الحلف، ولو كنت صادقا لقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ وقوله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**». فالمشروع للمؤمن أن يقلل من الأيمان ولو كان صادقا، لأن الإكثار منها قد يوقعه في الكذب.

٧- معلوم أن الكذب حرام، وإذا كان مع اليمين صار أشد تحريما، لكن لو دعت الضرورة أو المصلحة الراجحة إلىٰ الحلف الكاذب، فلا حرج في ذلك؛ لما ثبت عن النَّبيِّ ﷺ من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي المعيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرًا»[2].

٨- أفادت الآية النهي عن ابتذال اسم الله سبحانه واعتراضه باليمين في كل شيء، حقا كان أو باطلا، والنهي أيضا عن جعل اليمين مانعة من البر والتقوىٰ والإصلاح.

---

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام (١/ ٣٠٥-٣٠٧).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية (٤٠/ ١٦٣- ١٦٤).

٩- دلت الآية علىٰ أن اليمين لا يجوز أن يجعل سببا للكفارة لأن اسم الله المعظم، صار متعرضا للابتذال بوصف الحنث، ووصف الحنث راجع إلىٰ اليمين، فكانت اليمين سببا، وليست اليمين عبادة لا يمكن جعلها سببا للكفارة. فإن الإكثار من العبادات مندوب إليه، والإكثار من اليمين منهىٰ عنه. والإكثار من العبادات تعظيم الله تعالىٰ، والإكثار من اليمين تعريض الاسم للابتذال[١].

١٠- دلت الآية علىٰ أنّ المراد باللَّغو خمسة أقوال: **أحدها**: أن يحلف علىٰ الشيء ويظنّ أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه. **والثاني**: أنه لا والله، وبلىٰ والله، من غير قصد لعقد اليمين. واستدل علىٰ هذا القول بقوله تعالىٰ: وَلكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ، وكسب القلب: عقده وقصده. فالرجل يحلف ولا يعقد قلبه علىٰ شيء، فلا كفارة. **والثالث**: أنه يمين الرجل وهو غضبان. **والرَّابع**: أنه حلف الرجل علىٰ معصية، فليحنث، وليكفِّر، ولا إثم عليه. **والخامس**: أن يحلف الرجل علىٰ شيء، ثم ينساه[٢].

١١- دلَّت الآية علىٰ معنىٰ عظيم، وهو: أنَّ تعظيم الله لا ينبغي أن يجعل وسيلة لتعطيل ما يحبه الله من الخير، فإن المحافظة علىٰ البر في اليمين ترجع إلىٰ تعظيم اسم الله تعالىٰ، وتصديق الشهادة به علىٰ الفعل المحلوف عليه، وهذا وإن كان مقصدا جليلا يشكر عليه الحالف الطالب للبر لكن التوسل به لقطع الخيرات مما لا يرضىٰ به الله تعالىٰ، فقد تعارض أمران مرضيان لله تعالىٰ إذا حصل أحدهما لم يحصل الآخر. والله يأمرنا أن نقدم أحد الأمرين المرضيين له، وهو ما فيه تعظيمه بطلب إرضائه، مع نفع خلقه بالبر والتقوىٰ والإصلاح، دون الأمر الذي فيه إرضاؤه بتعظيم اسمه فقط، إذ قد علم الله تعالىٰ أن تعظيم اسمه قد حصل عند تحرج الحالف من الحنث، فبر اليمين أدب مع اسم الله تعالىٰ، والإتيان بالأعمال الصالحة مرضاة لله فأمر الله بتقديم مرضاته علىٰ الأدب مع اسمه، كما قيل: الامتثال مقدم علىٰ الأدب[٣].

١٢- من لم يقنع بالحلف بالله يراد بذلك إذا توجهت اليمين علىٰ خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة، فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة

---

(١) أحكام القرآن للكيا الهراسي (١/ ١٤٥).

(٢) زاد المسير(١/ ١٩٤).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٣٧٧-٣٨٤).

بيمينه؛ لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه. وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلالهم يوجب عليك أن ترضىٰ بالحلف بالله. وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض إلا بالحلف بالطلاق، أو دعاء الخصم علىٰ نفسه بالعقوبات، فهو داخل في الوعيد؛ لأن ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله، واستدراك علىٰ حكم الله ورسوله. وأما من عرف منه الفجور والكذب، وحلف علىٰ ما تيقن كذبه فيه، فإنه لا يدخل تكذيبه في الوعيد للعلم بكذبه، وأنه ليس في قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلىٰ يمينه، فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد[١].

١٣- الحلف بغير الله تعالىٰ من الكبائر واصل الحلف اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها الحلف، أي: العهد، ثمّ عبّر به عن كلّ يمين مَهِينٍ حقير الرَّأي والتَّدبير؛ لأنه لم يعرف عظمة الله، ولذا إذا أقدم علىٰ كثرته، فإنَّه سببٌ للمهانة، وهىٰ القِلَّة والحقارة، ويجوز أن يراد به الكذاب؛ لأنّه حقير عند الناس[٢].

١٤- ولا تجعلوا الله معرضًا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به، ولذلك ذم من أنزل فيه (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) بأشنع المذامّ وجعل الحلاف مقدّمتها. وأن تبروا علة للنهىٰ، أىٰ إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا، لأن الحلاف مجترئ علىٰ الله، غير معظم له، فلا يكون برًا متقيًا، ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم وإصلاح ذات بينهم[٣].

١٥- ذَمَّ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ أَكْثَرَ الْحَلِفَ بِقَوْلِهِ: (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) وَقَالَ تَعَالَىٰ: وَاحْفَظُوا أَيْمانَكُمْ (الْمَائِدَةِ: ٨٩) وَالْعَرَبُ كَانُوا يَمْدَحُونَ الْإِنْسَانَ بِالْإِقْلَالِ مِنَ الْحَلِفِ وَالْحِكْمَةُ فِي الْأَمْرِ بِتَقْلِيلِ الْأَيْمَانِ أَنَّ مَنْ حَلَفَ فِي كُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ بِاللهِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ بِذَلِكَ وَلَا يَبْقَىٰ لِلْيَمِينِ فِي قَلْبِهِ وَقْعٌ، فَلَا يُؤْمَنُ إِقْدَامُهُ عَلَىٰ الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ، فَيَخْتَلُّ مَا هُوَ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ فِي الْيَمِينِ، وَأَيْضًا كُلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ تَعْظِيمًا لِلَّهِ تَعَالَىٰ كَانَ أَكْمَلَ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَمِنْ كَمَالِ التَّعْظِيمِ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ أَجَلَّ وَأَعْلَىٰ عِنْدَهُ مِنْ أَنْ يَسْتَشْهِدَ بِهِ فِي غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٤٤-١٤٥).

(٢) روح البيان (١٠/ ١١٠).

(٣) الكشاف (١/ ٢٦٨).

١٦- مَنْ تَرَكَ الْحَلِفَ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ أَنْ يُسْتَشْهَدَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ فِي مَطَالِبِ الدُّنْيَا وَخَسَائِسِ مَطَالِبِ الْحَلِفِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْبِرِّ وَأَمَّا مَعْنَىٰ التَّقْوَىٰ فَظَاهِرٌ أَنَّهُ اتَّقَىٰ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ مَا يُخِلُّ بِتَعْظِيمِ اللهِ، وَأَمَّا الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ فَمَتَىٰ اعْتَقَدُوا فِي صِدْقِ لَهْجَتِهِ، وَبُعْدِهِ عَنِ الْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ فَيَقْبَلُونَ قَوْلَهُ فَيَحْصُلُ الصُّلْحُ بِتَوَسُّطِهِ.

١٧- ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ أَيْ: إِنْ حَلَفْتُمْ يَسْمَعُ، وَإِنْ تَرَكْتُمُ الْحَلِفَ تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَإِجْلَالًا لَهُ مِنْ أَنْ يُسْتَشْهَدَ بِاسْمِهِ الْكَرِيمِ فِي الْأَعْرَاضِ الْعَاجِلَةِ؛ فَهُوَ عَلِيمٌ عَالِمٌ بِمَا فِي قلوبكم ونيتكم[١].

١٨- أَنَّ اليمين التي تجب بالحِنْث فيها الكفارة، تلزم بالحنث في حلف مرة واحدة، وإن لم يكرّرها الحالف مرات. وكان معلومًا بذلك أنّ الله مؤاخذٌ الحالفَ العاقدَ قلبَه علىٰ حلفه، وإن لم يكرِّره ولم يردِّدْه[٢].

١٩- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ عن الإكثار منها أو عن الحنث إذا لم يكن ما حلفتم عليه خيرا، لئلا يذهب تعظيم اسم الله عن قلوبكم [٣].

٢٠- علىٰ المؤمن ألا يجري اليمين علىٰ لسانه، وأن يحاول ألا يحنث في اليمين. وهذا يقتضي ألا يحلف الإنسان علىٰ شيء يقوله بلسانه ويخضعه لقلبه إلا إذا كان علىٰ ثقة من أنه سيجند كل جوارحه للقيام بهذا العمل الذي أقسم أن يقوم به، وهذا هو معنىٰ قوله الحقِّ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾، ويذيل الحق الآية الكريمة: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾. والشكر هو الثناء من المّنعم عليه علىٰ المُنْعِم بالنعمة، فكأن هذه التشريعات تستحق منا الشكر؛ لأنها جعلت اللغو غير مؤاخذ عليه، ولأنها جعلت اليمين الذي عقَّدته له كفارة، وفي كل من الأمرين تيسير يستحق الشكر لله[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٦/ ٤٢٥).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/ ٥٢٤).

(٣) محاسن التأويل (٤/ ٢٣٨).

(٤) تفسير الشعراوي – الخواطر (٦/ ٣٣٦٥-٣٣٦٦).

النتائج والتوصيات

النتائج:

١- أنّ القسم واليمين واحد ويعرف بأنه: ربط النفس، بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنىٰ معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا. وسُمي الحلف يمينًا؛ لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف.

٢- التعظيم علىٰ ثلاث درجات: تعظيم الأمر والنهي وتعظيم الحكم الكوني القدري وتعظيم الرب سبحانه.

٣- أنّ من أسباب وقوع المخالفات المنافية للتعظيم الجهل بدين الله تعالىٰ، وقلة العلم الشرعي، وضعف التفقه في الدين.

٤- أنّ الهدايات القرآنية بعضها يدلّ عليها ظاهر النص، وبعضها يستنبطها العلماء بعد تدبر وإعمال فكر.

٥- أن تعظيم الله لا ينبغي أن يجعل وسيلة لتعطيل ما يحبه الله من الخير، فإن المحافظة علىٰ البر في اليمين ترجع إلىٰ تعظيم اسم الله تعالىٰ.

٦- أنّ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ عن الإكثار منها أو عن الحنث إذا لم يكن ما حلفتم عليه خيرًا، لئلا يذهب تعظيم اسم الله عن قلوبكم.

التوصيات:

ختامًا أوصي بالآتي:

١- البحث في ذات الموضوع في أجزائه التي لم تأخذ حقها من البحث والاستقصاء، لأن إعطاء هذا الموضوع حقه من الصعوبة بمكان.

٢- التوسع في البحث في مفهوم القسم واليمين والحلف ودلالته علىٰ تعظيم الله واستنباط الهدايات القرآنية منه.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢- أحكام القرآن: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفىٰ: ٥٠٤هـ) المحقق: موسىٰ محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.

٣- التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤- التحرير والتنوير (تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٥- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفىٰ: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولىٰ.

٦- تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفىٰ: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، نشر ١٩٩٧م.

٧- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٨- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما (المتوفىٰ: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (المتوفىٰ: ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان.

٩- التوقيف علىٰ مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفىٰ: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٠- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفىٰ: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١١- روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني طبع علىٰ نفقة: حسن عباس الشربتلي، الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ج١، ص٣٠٥- ٣٠٦- ٣٠٧.
١٢- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولىٰ أبو الفداء (المتوفىٰ: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
١٣- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفىٰ: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ.
١٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفىٰ: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٦ هـ
١٥- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري (المتوفىٰ: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
١٦- القول السديد شرح كتاب التوحيد: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦هـ) المحقق: المرتضىٰ الزين أحمد الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية الطبعة: الثالثة.
١٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

١٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفىٰ: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٩- مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٢٠- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفىٰ: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٨ هـ.
٢١- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفىٰ: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٢- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفىٰ: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٢٣- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفىٰ: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٢ هـ
٢٤- موسوعة فقه القلوب: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية.
٢٥- الهدايات القرآنية (دراسة تأصيلية)، أ.د. طه عابدين طه حمد، د. ياسين بن حافظ قاري، د. فخر الدين الزبير علي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.